الشهيد لقمان حي في القلوب دائما

عاد لقمان من السعودية التي كان قد ذهب اليها للعمل مثل كثيرين فى بداية الثمانينات وتكررت زياراتنا اليومية لبعضنا بعضا، كان لقمان وحيد والدته، فلم يشأ ان يترك الام العجوز لوحدها فترك العمل المغري في السعودية وعاد، ليتقدم الى التدريس ويعمل معلما وكيلا في أحدى قرى تل حميس لبعض الوقت.

كنت بدوري مدرسا في احدى ثانويات القامشلي، كنا نسهر بشكل يومي في بيته الصغير، كنا مجموعة من الاصدقاء، نثرثر ونقضي الليل حانقين، غاضبين على أوضاعنا السياسية والاجتماعية دون ان نجد بريق امل لحل ما, وتحولت سهراتنا الى عبث حقيقي ولهو لا معنى له، كنا نريد ان يمضي الوقت فحسب.

في يوم ما تعرفت على شاب في بيت الفنان محمد شيخو, كان الشاب يتحدث بحماسة عن أفكاره السياسية، وكنت صامتا استمع الى النقاشات التي دارت بينه وبين الجالسين هناك, كانوا أكثر من عشرة اشخاص وكان الكل يعادي ما يطرحه ذلك الشاب القادم من شمال كردستان، لم أشارك في النقاش، بل قلت في نفسي هذا ما نبحث عنه، نعم ان ما يطرحه هذا الشاب هو ما يفكر به معظم الشباب الخائبين من الحركة الكردية، التي كانت تتخبط في مسائل وخلافات لا علاقة لها بالفكر والايديولوجيات، حزب يقول نحن شعب وأخر يقول نحن اقلية، حزب يقول البيضة قبل الدجاجة وأخر يقول العكس، كان الشاب واضحا جريئا في طرح أفكاره، ويتحدث عن تاريخ كردستان بوضوح لم نسمعه من قبل, وتحدث عن حق الكرد في تقرير مصيره وبناء كردستان حرة مستقلة، وفند كل الفكر (الشيوعي) الجامد الذي كان وقتها يسود بقيادة بكداش ولم يسلم الاتحاد السوفييتي من انتقاداته، وبين كيف ان هذه الدولة الشيوعية ومن يسير في فلكها قد انحرفوا عن تعاليم اللينينية، وصارت الاحزاب الشيوعية مجرد ابواق لسلطات بلدانها القمعية, وانحرفت عن تعاليم مؤسسيها.

حين خرج الشاب وكان الوقت ليلا، خرجت لألحق به، واستوقفته في الشارع وطلبت منه ان نلتقي، فوعدني خيرا، وفي اليوم التالي جاء لزيارتي، وحدثني عن حزبه وقال بانه يسمى حزب العمال الكردستاني، وقدم لي بعض الوثائق الحزبية، التي تفسر ايديولوجيته, وانقطعت عدة ليال عن سهراتنا في بيت لقمان.

جئت اليه بعد ايام لأخبره عن الشاب وعن الحزب الجديد الذي اسمه حزب العمال الكردستاني، فلم يتردد لقمان في تقبل ما يطرحه ب ك ك وتبدلت سهراتنا، وتفرق شمل الاصدقاء الذين كنا

نسهر في بيته، وقتها كان من بين الذين يسهرون معنا الشهيد محمد صالح والذي لم يوافق على الانضمام للقاءاتنا مع الرفيق الذي جاء من شمال كردستان في البداية.

وبدأت لقمان وانا بالعمل ونشر افكار الحزب بين الناس ، كنا نزور البيوت، نناقشهم نطرح افكارنا، نحاول استمالتهم، رغم تأفف الجميع منا، وأذكر ان الكثيرين أغلقوا أبوابهم بوجوهنا بل ان بعضهم طردنا من بيته, وكنا عنيدين نعيد الزيارة ونعيد النقاش.

" من انتم لتنتقدوا الاتحاد السوفياتي..؟ كيف تتجرأون على مناقشة حزب شيوعي عمره خمسون سنة واكثر، انتم مجموعة من المراهقين السياسيين، غدا ستتعبون، وتتراجعون عما تقولونه اليوم, كيف تقولون عن الاحزاب الكردية في سوريا انها مجرد أحزاب شكلية..الخ.."

كان الناس يردون علينا بهذه الجمل, ويسخرون منا، ومن قيمنا الجديدة، كنا نختلف حتى في طريقة جلوسنا، وأحاديثنا، كنا صارمين، الى حد كانت الضحكة تحتاج لتفكير منا، وكان ذلك ثقيلا على شعبنا الذي عودوه على التملق، وروح الانصياع، والاستخفاف.

لكننا وكمن يحفر الصخر بابرة، استطعنا ايجاد عدة عائلات ترتاح لنا، وترحب بنا ان طرقنا الباب عليهم, و وجدنا بعض الشباب ممن يتقد وطنية وفكرا نظيفا.

احتفلنا بأول عيد للنيروز في القامشلي، وصار لنا مسرح خاص بنا، وجمهور خاص بنا، جمهور من فقراء القامشلي، ولاول مرة أحسسنا ان كردستان هي ليست من شؤون الاقطاعيين وابناء الطبقات الكردية الميسورة، بل وجدنا ان ب ك ك قد اقترب من الكل، واستفاد من طاقات الكل، واقنع الكل ان كردستان هي للكل وليست لمجرد عائلات مشهورة، فصرنا ندافع عن فكرنا وعن قيمنا، التي صرنا جزءا منها، وبدأنا بشرح الشخصية الكردية الجديدة، ونسف ما علق بتلك الشخصية من الذل وروح الهزيمة.

في نيروز افهمنا جماهيرنا ان نيروز ليست للنزهة وشوي اللحم وشرب الخمور، بل هي يوم للمقاومة والتحدي وبناء شخصية الانسان الكردي. وكانت شخصية الرفيق مظلوم هي النبراس الذي نهتدي بهديه، وقد بذل الرفيق لقمان في ذلك النوروز جهودا كبيرة، لانجاح الاحتفال، وأذكر انه ألقى كلمة مؤثرة بالجماهير التي احتشدت بالالاف حول مسرحنا.

حين ذهبنا الى التدريب في معسكرات الحزب، لم يكن هناك سلاح لنتدرب عليه، كان كل ثلاثة رفاق يتشاركون بفك وتركيب بندقية واحدة، وأكثر من ثلاثة اسابيع كان الرفيق لقمان يحمل بيده عصا غليظة، يحملها كبندقية اثناء التدريبات، كانت ثيابنا ممزقة، واحذيتنا مثقوبة، وكل ثلاثة رفاق يستعملون شفرة واحدة للحلاقة, وحتى البرغل الذي كنا نطبخه للغذاء كان كل حفنة منه قد جيء به من بيت، فكيس البرغل الذي كنا نطبخ منه، كانت طبقة منه اسمر، وطبقة قد

تم خلطه بالشعيرية وتحت تلك الطبقة تاتي طبقة أخرى مختلفة في اللون والشكل.. كان يبدو ان البرغل قد تم جمعه من بيوت عديدة.

هكذا بنى حزب العمال الكردستاني نفسه، وهكذا بنى رفاقه، وبهذه الامكانيات البسيطة استطاع ان يشعل الثورة, ويبدأ بقفزة أب المجيدة، ومن ثم يملأ جبال كردستان بقامات شامخة وعيون سود تحرس ذرى جبال كردستان من الخيانة والسقوط في اليأس.

كان الرفيق لقمان من هؤلاء الذين عرفوا تلك الايام, ولهذا كان حريصا على حماية ثورته، وغيورا على دماء رفاقه، وعرق جبينهم الذي سال في ساحات التدريب، ليمرغوا انف الفاشية الطورانية بتراب كردستان، وحين جاءت لحظة المواجهة الكبيرة بينه وبين الفاشيين لم يتردد لقمان ولم يفكر بالاستسلام، فتصدى بجسده للفاشيين الذين تكالبوا عليه وهو جريح ليلتحق بركب الشهداء.

لم يكن لقمان شخصا مترددا، ولم يكن مجرد مقاتل في الكريلا، بل كان قائدا بين الصفوف ولكن حزب العمال الكردستاني حين يواجه العدو، يواجهه بكل ما يمكلك، قادة وانصار ونصيرات، ان استشهاد لقمان ليس الا درسا من دروس البطولة التي سيحكيها شعبنا في كتبه ذات يوم، وسيذكره الى جانب رفاقه واصدقائه الشعداء محمد صالح وفرحان.. وأخرين كثر رووا تراب كردستان بدماء هي ملح الارض وأزاهير الغد.

سلام الى روحك ايها الرفيق العزيز

سلام لكل الاحلام التي حلمنا بها

سلام لكل الرفاق الذين على دربك لا يزالون

سلام للقائد الاسير

سلام ..

ولتنم روحك بسلام.. وسنحرس أحلامك من كل معتد وجبان.. ودخيل...

نم قرير العين.. فوالله لن يعبث احد بدمك .. وهانا اليوم وكلما ذهبت الى آمد التي أحببتها, أقف بجانب سورها وأقول: لقمان يهديك السلام

رفيق قديم للشهيد لقمان